

## واقع الإصلاح التربوي في التعليم الثانوي

يحيى سماعيل / جامعة محمد بن احمد وهران 2 الجزائر

ملخص :

تعد سياسة إصلاح النظام التربوي في الجزائر وعدم الاكتفاء بدراسة أزمة النظام التربوي، أو كما يفضل البعض أن يحتزل ذلك في إطار المدرسة فقط. ومن هنا نولي الاهتمام بهذه الإصلاحات التربوية بنوع من التقرب المنهجي والعلمي للكشف عن حقيقتها، ومن تم دراستها. لقد ظلت المنظومة التربوية بعد الاستقلال تركز جهودها في ممارسة الحكم من خلال تبني مجموعة من الشعارات السياسية، التي كانت تعكس توجهها الإيديولوجي في تلك المرحلة. لكن ما تم إنجازه في الوقت هو فقط السياسة التي كانت تتمحور حول تلك الشعارات الثلاث (الثورة الزراعية والصناعية والثقافية) لكن الاهتمام وقع فقط على الصناعة والزراعة دون الاهتمام بالثقافة. وهذا يعكس لنا أن الأمر لم يكن يخلو من خلفيات وتناقضات سرعان ما كانت تطفوا على سطح الساحة السياسية في شكل رهانات حزبية، لكن لم تكن تهيمن ما دامت تحت غطاء إيديولوجي قائم على الفردانية والجماعية في الرأي.

الكلمات المفتاحية: المدرسة - الفرد - الجماعة - إصلاح - التعليم

### Abstract:

The policy of reform of the educational system in Algeria is not only to study the crisis of the educational system, or, as some prefer to reduce it within the school only. Hence, we pay attention to these educational reforms with a kind of systematic and scientific approximation to reveal what they are, and what has been studied. The post-independence educational system has devoted itself to the practice of governance by adopting a series of political slogans that reflected its ideological orientation at that stage. However, what was achieved at that the time was only the policy that was centered on those three slogans (agricultural, industrial and cultural revolution), but the interest was only on industry and agriculture without interest in culture. This shows that the matter was not free from backgrounds and contradictions that soon swept the political arena in the form of party bets. Nevertheless, these conflicts were not dominated as long as they were under ideological cover based on individualism and collective opinion.

**Keywords:** school - individual – community – reform - education

مقدمة عامة

تنحصر إشكالية البحث في دراسة سياسة إصلاح النظام التربوي في الجزائر وعدم الاكتفاء بدراسة أزمة النظام التربوي، أو كما يفضل البعض أن يحتزل ذلك في إطار المدرسة فقط. ومن هنا نولي الاهتمام بهذه الإصلاحات التربوية بنوع من التقرب المنهجي والعلمي للكشف عن حقيقتها، ومن تم دراستها لان المسألة معقد وأكثر تشبكا مما نتصور، فبقدر ما أن النظام التربوي في الجزائر مؤزما، وما يجعلنا نصدر هذا الحكم حول سياسة الإصلاح للنظام التربوي التي تم إنتاجها في الجزائر وبالخصوص بعد الإستقلال هو أن النظام السياسي التي انتهجته السلطة، كان يقوم منذ البداية على كثير من المفارقات والتناقضات والصراعات والنزاعات حول السلطة. و سيطرت منطق الإقصاء والتهميش لبعض أطراف النزاع داخل السلطة، وتغليب سلطة السياسة على سلطة المعرفة والثقافة والعلم، وهذا ينعكس تحت تلك الرهانات التي كانت تحدد مصير المجتمع على مستوى المشروع الاجتماعي، ومصير الدولة كهيئة عليا في السلطة ومن تم مصير الأزمة بكاملها.

لقد ظلت المنظومة التربوية بعد الاستقلال تركز جهودها في ممارسة الحكم من خلال تبني مجموعة من الشعارات السياسية، التي كانت تعكس توجهها الإيديولوجي في تلك المرحلة. لكن ما تم إنجازه في الوقت هو فقط السياسة التي كانت تتمحور حول تلك الشعارات الثلاث (الثورة الزراعية والصناعية والثقافية) لكن الاهتمام وقع فقط على الصناعة والزراعة دون الاهتمام بالثقافة. وهذا يعكس لنا أن الأمر لم يكن يخلو من خلفيات وتناقضات سرعان ما كانت تطفوا على سطح الساحة السياسية في شكل رهانات حزبية، لكن لم تكن تهيمن ما دامت تحت غطاء إيديولوجي قائم على الفردانية والجماعية في الرأي

في هذه الحالة تعد التعليم إحدى القضايا التي جندت حولها فئات فاعلة من مجتمعات عربية في فهم الصراعات الوطنية ضد المحتل ، في الدول العربية المستقلة فحسب ، بل أصبح الحديث عن التعليم فرصة لتحديد مناقبها وتأكيد لحقبة الحكام بالحكم طالما اعتبروا أنفسهم الخيال الوحيد الممكن لتحقيق التنمية يتحدد العهد اليوم مع هذا الموضوع في ظل ظرف عربي داخلي دقيق وفي ظل وضع عالمي مطبوع باتساع دائرة فعل العولمة والمهيمنة الأمريكية على المستوى العربي بدأ يطرح موضوع التعليم بعدها أصبحت الحكومات العربية هدفا للحركات الإسلامية التي رعتها في فترة ما ، أما على المستوى العالمي فإنه أصبح يطرح كجزء من الإملاءات الأمريكية في إطار مجتمع المعرفة الذي ينادي به المسؤولون الأمريكيون .

وعلى هذا الأساس، يمكن أن نقول أن من أخطر الآفات الفكرية التي أصبحت تعد العديد من المفاهيم والأقوال والمواقف السائدة حول بعض قضايا التربية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، يشرع الكثير من التصورات التقنية والبسيطة لهذه القضايا تصورات تحيل على مستوى مرجعياتها إلى اختيارية ضيقة، تختزل الواقع المتعدد والمتحول في بعض جوانبه ومكوناته وأبعاده ، فتفقد بذلك تلك النظرة الشمولية للواقع المبحوث سواء كان على مستوى الخلفية الفكرية الموجه ، أو تشخيص المشكلات والأزمات والأوضاع .

لم ينتج عن هذه التصورات التقنية لا معرفة علمية ولا فهم مطابق للوضع المعني في ارتباطاته وأبعاده الفكرية والحضارية ، ولم تنكشف طروحاتها ومواقفها عن أي برامج أو مشاريع إصلاحية أو تنموية، وإنما أنتجت كثيرا من الأوهام والإحباطات والمراوحة البائسة في المكان. مساهمة بذلك في إنتاج شروط الوضع المؤزم ، والاكتفاء في أحسن الأحوال بتدبير تليفني متعثر للازمات، دون امتلاك القدرة على التخطيط والتجاوز وتحقيق الإصلاح التربوي والاجتماعي المنشود<sup>1</sup>.

تسعى الدراسة العلمية الأكاديمية بفضل النظرة التحليلية الناقدة للظاهرة السوسولوجية ، إلى محاولة إبراز ما وراء الظاهرة من أمور لا تظهر بالعين المجردة ، بل بفضل السوسولوجية العلمية ولكل موضوع دوافعها الخاصة التي تجعل الباحث يهتم به عن طريق الغوص في مستجداته. ومن أسباب اختيار الموضوع والاهتمام بالمدرسة كوني اعلم فيها ومدى إثارة برامج ومناهج جديدة للقارئ حتى من خلال التساؤلات حول الوظيفة الممارسة وإستراتيجيتها الظرفية والمستقبلية.

- حداثة الموضوع وجدتها على بساط البحث العلمي وما يثيره من قضايا تربوية جديدة لها علاقة بالتحويلات المحلية والإقليمية والدولية.
- وظيفة المدرسة ومكانتها في بناء المعارف والاتجاهات على الجيل الجديد .
- خطاب الإصلاح وما أثره من مواقف النخب الوطنية بكل توجهاتها حول قضايا الهوية.
- لغة البرامج و التعمق في توجهات خطاب إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر المعاصرة واخذ المناهج الجديدة بما لها من وظيفة معينة في ظل تداوم مفهوم المجتمع المدني والمواطنة عند الأحزاب والمجتمعات والمنظمات والسلطة خاصة ونحن على فوهة العولمة والتناقضات الإيديولوجية بشتى وسائلها المادية والفكرية .

تشهد المدرسة الأساسية والثانوية في السنوات الأخيرة وفي ظل خطاب الإصلاح تغيرات في البرامج ( المحتويات ) وتقنيات التدريس (المناهج) فرضتها التحويلات الحاصلة في العالم المعاصر من الناحية الاجتماعية،الاقتصادية،السياسية الثقافية وأصبح تجديد المعارف في المدرسة الجزائرية وإعادة هيكلتها ضرورة حتمية نظرا للتطور التكنولوجي السريع .

وتعكس الشواهد الواقعية في المجتمع العربي ولا سيما في السنوات الأخيرة العديد من التغيرات التي تمس جواهر النظام التعليمي ، ومؤسساته المختلفة انطلاقا من التأثير المباشر سواء للنظام العالمي الجديد والليبرالي أو لواقع المجتمعات العربية التي تسعى لتحديث نظامها التعليمي في ضوء ما طرحه الإستراتيجية التنموية نحو عمليات التحول نحو الرأسمالية وما يصاحبها من عمليات تحديث للعملية التربوية.

<sup>1</sup> مصطفى محسن " الخطاب الإصلاحي التربوي بين أسئلة الأزمة وتحديات التحول الحضاري " الطبعة الأولى 1991 ص 7 - 8 الناشر: المركز الثقافي العربي بيروت لبنان .

أصبح الخطاب التربوي بشكل خاص سواء كان ذلك على مستوى المجتمعات المغربية او العالم الثالث ، يتداول في الظرفية الراهنة (المعاصرة ) تحديدا مجموعة من المفاهيم ذات البعد والدلالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والعقائدية المتعددة ، ولعل من ابرز هذه المفاهيم وأكثرها حضورا وتداولاً مفهوما الأزمة والإصلاح ( RISETREFORME)<sup>1</sup>.

ولقد ارتبط في السنوات الأخيرة عملية دراسة وتحليل النظم التعليمية ومؤسساتها المتعددة بما يعرف بعمليات التقييم " Evaluation processe " والتي كانت موضع اهتمامات الكثير من القائمين على وضع استراتيجيات التعليم ، أو المهتمين بما يعرف بتقييم الاستثمار التعليمي ( Education Inversement ) سواء من قبل العاملين في مجالات التربية او علم النفس أو الاقتصاد أو الاجتماع وغيرهم . لذا تعرف حاليا البنيات التعليمية بالدول المغربية تحولات هامة مما أحدث لدى المسؤولين الشعور بالحاجة الى مراجعة الموقف " وان الدينامية الجديدة لتطور الأنظمة التعليمية التي برزت تحت تأثير التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، أصبحت تفرض اليوم رؤى إصلاحية"<sup>1</sup>. لقد جعلت المجتمعات المغربية على غرار الدول الأخرى الطور الابتدائي من التعليم مرحلة دراسة نهائية ، يدرس خلالها العناصر الأساسية للحاجيات الثقافية المشتركة لجميع المواطنين بينما بقي التعليم الثانوي منفصلا ومسخرًا لأهداف أخرى.

لكل حقل معرفي مفاهيمه ومصطلحاته التي يستخدمها أعضاؤه ، باعتبار هذه المفاهيم تمثل وسائل الاتصال والتواصل بين العلماء والباحثين ، واستيعابها بحيث هو المدخل الأساسي لأي بحث دون تحديدها يستحيل على الدارس استيعابها وفهم مضمونها لذلك ارتأينا من الناحية المنهجية أن يحدد أهم المفاهيم الواردة في بحثنا قصد تحديد المضامين التربوية بها ، حتى يمكن إعطاء صورة واضحة ذات رؤى مختلفة وعلى هذا الأساس سنتناول هذه المفاهيم وفق الترتيب التالي .

إن تقييم هذه المرحلة التعليمية إلى ثلاثة أطوار، التي لها جذور تاريخية وسوسولوجية، قد أدى بكثير من البلدان لا سيما الجزائر إلى تأسيس فصل واضح بين الطورين ، وان كان هذا التقسيم يتزامن مع مختلف دقيق لنمو التلميذ ، فان جل الآراء اعتبرت هذه القطيعة غير محمودة من الوجهة البيداغوجية ، إذ أنها تتنافى مع النظريات التربوية الحديثة ، التي ترى في السنوات الأولى من التعليم الثانوي استمرار للتعليم الابتدائي. وباعتبار الدينامية التي تعرفها معظم الأنظمة التعليمية ، وبالنظر إلى التطور الاقتصادي بمجتمعاتها ، فان الدول المغربية وجدت نفسها أمام ضرورة إعادة النظر في تعليمها المهني والتقني ، كما فرضت عليها متطلبات سوق الشغل الذي ما فتئت حاجاته ، تتعقد أي ان تكويناته يتماشى ويترايب الكفاءات . نريد ان نضع القارئ عبر هذه الدراسة المتواضعة أمام مجموعة من المقدمات السوسولوجية النقدية ، التي يمكن ان تشكل منطلقا للحفر والتساؤل والتفكيك والنظر والتحاور حول بعض أهم المشكلات والرؤى والأقوال لإشكالية إصلاح نظامنا التعليمي من جهة ، كما يمكن ان تشكل من جهة أخرى أداة للمرجعية النقدية وللهم، وبالتالي للمساهمة في إنتاج معرفة بواقعا التربوية والاجتماعي ( الفهم ) بقدر من الدقة والعمق والتكامل ، وخاصة ونحن نعيش في الظرفية الراهنة وفي إطار " نظام كوني جديد " يحاول ان يؤسس شروط استنباط ثقافة كونية جديدة مكرسة لقيم ومفاهيم العولمة ، والشراكة والانفتاح والتحاور والمنافسة والتفاهم واحتضان تمايز اللغوي والاختلاف بين الثقافات والأعراق والحضارات .

وإذا كنا نلح على ضرورة التعامل النقدي مع هذا الخطاب الكوني الجديد " والوعي بحواصله وخلفياته ومراهناته الفكرية والسياسية والإيديولوجية والحضارية"<sup>1</sup> مع الاعتراف في الآن ذاته ، ومن حيث المبدأ على الأقل بالأهمية الوازنة للتقييم والرموز والمبادئ التي يروجها الخطاب ، ذاك فإننا نرى أن من بين شروط التأهيل للانخراط في هذه الثقافة الكونية الجديدة هو الوعي بالذات وبالآخر.

<sup>1</sup> - مصطفى محسن ، نفس المرجع السابق ص 20 .

<sup>1</sup> - أعمال الندوة العربية حول هيكلية التعليم الإبتدائي والثانوي ، اتجاهات الإصلاحات التربوية في البلدان المغربية منشورات كلية علوم التربية ، جامعة محمد الخامس الرباط ، الطبعة الأولى 1992 ص 07 .

<sup>1</sup> - مصطفى محسن : نفس المرجع السابق ، ص 10

فالمدرسة تضم متغيرات متعددة منها الهدف الفلسفي والاجتماعي الكبير الذي ترسمه للنظام التربوي ، وهكذا فهي ليست مجرد طائفة من التقنيات التي تنتقل عن طريقها المعرفة ، بل قبل هذا وفوق هذا أسلوب تكوين يستهدف تكوين إنسان معين ، انطلاقا من غاية محددة ، وللمدرسة غايات وأهداف كبرى انطلاقا من العلاقة بين السياسة والتربية .

وهناك اتجاه يرى أن سبيل إصلاح المجتمع هو إصلاح التربية وهو اتجاه نجد على رأسه المنازع التي انبثقت من أنظار " روسو " التربوية ومن أفكار عالم الاجتماع " دوركايم " والذي عرف انبعثا له في صورة جديدة لدى أصحاب التربية المؤسسية من أمثال لوبرو (LOBROT) وروجرز (ROGRERS) .

وفي مقابل هذا الاتجاه يتحدث عن الاتجاه المعاكس الذي ساد في السنوات الأخيرة لدى عدد من علماء الاجتماع الذين ينظرون إلى قدرة المدرسة على تغيير المجتمع تغييرا جذريا ، والذين يرون على العكس ، أن لا سبيل إلى إصلاح المدرسة إلا عن طريق إحداث تغييرا أساسيا في بنية المجتمع نفسه .

وعلى رأس هؤلاء بورديو (Bourdieu) وباسرون (PASSERON) يرى هؤلاء ان المدرسة في صيغتها الحالية ليست سوى شكل من أشكال إعادة إنتاج المجتمع القائم ، وانها مضمونة للحفاظ على البنية الاجتماعية التقليدية ولاستمرار بقائها<sup>2</sup>.

إن حركة التعمير في أبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية تؤكد الإطار الذي يتحرك فيه النظام التعليمي ، وأن يتخذ من سياسات واستراتيجيات وتوظيف للتعليم قد يجعل النظام التعليمي وسيلة لتحقيق هدفين ، أولا جعله لإعادة إنتاج العلاقات القائمة من خلال مناهج تنتج نمط الشخصية المتكيف ، والمطبع مع إيديولوجية السلطة السياسية وتأتي من خلال أساليب الترويض الفكري لضمان الوظيفة المحافظة ، أو المحددة للنظام التعليمي ، من خلال أنواع المعارف ومتطلبات التفكير والمناهج الرسمية ، فضلا على ما يتخذه من مناهج وأساليب خفية بين ثنايا العملية التعليمية والمناخ المدرسي.

ومن الخصائص المميزة للنظام التعليمي وعملياته انه قد يؤدي وظيفة المحافظة والتجديد في نفس الوقت ، وان كان النظام السياسي وبنيته وتوجهاته هي التي تؤدي الى تغليب احدهما على الآخر.

ولقد عرفت الجزائر تحولات في جميع الميادين منذ التسعينات ، سواء على المستوى الاقتصادي ، السياسي والثقافي وكان لا بد للمنظومة التربوية ان تسير هذه التحولات ، الأمر الذي جعلنا نلاحظ تبلور خطاب إصلاح المنظومة التربوية وهذا منذ سنة 1999 .

وفي خضم هذه التحولات للمنظومة التربوية إدراج مجموعة من المواد والمناهج المختلفة على مستوى جميع المستويات على ضوء إصلاحات وتغيير برامجها ومنهجها بدء بالسنة الأولى وبصفتي موظف في المؤسسة منذ 2001 ومعني تطبيق الإصلاح (Acteur Social) تبين لنا الوقوف على المناهج في بداية سنوات الإصلاح ( السنة الأولى والثانية والثالثة ثانوي ) ومدى أهميتها التربوية والإيديولوجية على التلميذ من خلال استدراج الأساتذة كفاعلين اجتماعيين لمعرفة تصور رأيهم بطبيعة تأثيرات هذه المادة الإستراتيجية على التلميذ في هذا الظرف التاريخي المميز. من خلال موضوعنا هذا واقع الإصلاح التربوي في التعليم الثانوي بثانوية الاخوة تحاري تلبالة ولاية بشار، وهي دراسة سوسيويديداغوجية يعالج المواد المقررة في السنة الأولى والثانية والثالثة ثانوي ووظيفة تأثيرتها على التلميذ.

نريد في هذا البحث المتواضع وانطلاقا من الإشكالية وفرضيات مفادها أن نتعرف على أهم المهام والأدوار والوظائف التي تشغلها المناهج الحديثة المعاصرة ، في الطور الثانوي ولماذا بالتحديد في التعليم الثانوي لأننا وجدنا الإصلاح قد طبق منذ ثلاث سنوات ، تزامنا مع بداية تحضيرنا لشهادة الماجستير وعلى أساس ذلك ونظرا إلى الأوضاع التي تشهدها الجزائر على جميع الأصعدة وخاصة الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية والثقافية ، والتحويلات الكبرى في ظل النظام الجديد وموقع قطاع التربية والتعليم من هذه التغيرات . أردنا أن نضع أيدينا على أهم الإستنتاجات

<sup>2</sup>- علي اقا زيني ، الجمود والتجديد في التربية المدرسية ترجمة د . عبد الله الدائم ، دار العلم للملايين لبنان الطبعة الأولى 1981 ص 19

التي يتخذها التعليم في تجسيد الرؤى والأفكار والإتجاهات ، باعتبار التعليم قطاع حساس في تكوين القناعات لدى الأفراد . وكذلك نريد من خلال بحثنا هذا الوقوف على أهم الإصلاحات الكبرى التي سطرتها السلطة في المنظومة التربوية بجميع مراحلها بما في ذلك الابتدائي والمتوسط والثانوي .

وأهم الصعوبات والعراقيل التي تواجه هذا المشروع الإصلاحي ، وكذلك الوقوف على ظاهرة العولمة وتأثيرها في التربية والتعليم ، خاصة في دول العالم الثالث وأهم مظاهر تأثيرها في ميدان التربية والتعليم .

وتقييم مشروع الإصلاح من خلال عرض رؤى ومواقف تبين جوانب للمنظومة التربوية في الجزائر المعاصرة وإعطاء تصورات في إثراء عملية الإصلاح لتمكينه من الفعالية والمصدقية العلمية والمنهجية حاضرا ومستقبلا .

لا تخلو جل المواضيع السوسولوجية في دراستها من جملة من الفرضيات التي يعتمد عليها الباحث ، فهي عبارة عن تصريح في حملة أو أكثر من علاقة قائمة بين حدين أو أكثر ، ووسيلة للتحقيق الإمبريقي<sup>1</sup> ، واعتمدنا على مجموعة من الفرضيات متعددة المتغيرات التي سيكون التحقق منها أو تقييمها خلال مسيرة البحث .

1- تعتبر البرامج التعليمية المعاصرة للمواد في السنة الأولى والثانية والثالثة ثانوي وفي ظل إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر مرحلة تمهيدية وتوجيهية للتلميذ لممارسة قواعد مفهوم الديمقراطية انطلاقا من محيطه الاجتماعي وتمثيله داخل محيطه المدرسي من خلال طبيعة الأهداف ومدى تأثيرها في سلوكه وممارساته اليومية لبناء المنهج الديمقراطي في فكره وهظمه مستقبلا في السياسة داخل مؤسسات الدولة .

2- تمارس البرامج التعليمية للمواد في بداية السنوات الإصلاح في التعليم الثانوي، داخل المؤسسة على التلميذ من خلال المناهج والعمليات التربوية المطبقة تنشئة متعددة الأبعاد والأهداف ، انطلاقا من تجسيد البرامج المسطرة من طرف الوزارة الوصية فيما يعرف بمفهوم الدولة والوطن ، لإعطائه فيما بعد حصانة هوياته تربطه وثيقا بهما وتلزمه شروط المواطن والمواطنة .

3- تعتبر برامج المواد إرهابات (بدايات) أولى نحو دمج التلميذ في السياق الاجتماعي من خلال العمليات التربوية التعليمية المنهجية وفق التدرج المعرفي لطبيعة البرامج وأهدافها لتمكين التلميذ من تقبل ما هو كائن في المجتمع ، وهو في ذلك السن أو مرحلة المراهقة ما يجب أن يكون مستقبلا مع طبيعة إفرزات التطور والتغيير تماشيا مع مراحل حياته ومن جانب آخر إخضاعه لأسلوب الطاعة والولاء لمفهوم الدولة والوطن .

أما من الناحية المنهجية ولمعالجة الموضوع، إستعنا بالمنهج التحليلي ، في تحليل المضامين والبرامج التعليمية ، كما قمنا بالاقتراب ببعض الأساتذة من أجل الوقوف عن تماثلهم للإصلاحات التربوية، بحيث تم إستجواب 20 مبحوثا ، وهكذا كانت تقنية المقابلة التقنية المساعدة على جمع بعض المعطيات الكفيلة التي ساعدتنا على الخروج ببعض الخلاصات حول آرائهم حول الإصلاح في التعليم الثانوي، ولمعرفة كذلك موقفهم أثناء تطبيق عملية الإصلاح وما سينجر عنه خلال الفترة الراهنة، فقمنا بمقابلة عشرون مبحوث ودامت الدراسة حوالي ستة أشهر ، من يوم 2007/05/14 إلى غاية 2007/11/28 بثانوية الإخوة نهارى بمدينة تلبالة ولاية بشار<sup>1</sup> .

لا يخلو أي بحث ميداني من الصعوبات، رغم وفرة الإمكانيات للدراسة، إلا أن هناك بعض العراقيل المتمثلة في:

. عدم وجود ساعات الفراغ بالنسبة للأساتذة .

. قلة المراجع في هذا السياق كون الموضوع جديد ، وهي في حاجة إلى كتب ودراسات حول هذا الموضوع .

وللإحاطة بالموضوع قسمنا عملنا إلى أربعة فصول :

لكن سنحاول أن نتناول فصل واحد فقط بعنوان: المسار التاريخي للمدرسة الجزائرية قبل المرحلة الإستعمارية وبعد الإستقلال والمراحل التي مرت بها المدرسة الجزائرية في تلك الفترة.

<sup>1</sup> - مريس أنجلس منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية دار القصة للنشر الجزائر 2004 ترجمة بوزيدي ، وآخرون ص 151

<sup>1</sup> - للمزيد من الإطلاع ومعرفة الثانوية أنظر الملحق (ج) .

## الفصل الأول: - المسار التاريخي للمدرسة

## مقدمة

في البداية وعن الحديث عن واقع النظام التربوي في الجزائر، فإنه يصعب علينا أن نتناوله دون أن نتعرض إلى واقع الثقافة في الجزائر. في تلك المرحلة - أي قبل المرحلة الاستعمارية - حيث نلاحظ أن كل الباحثين والمؤرخين لواقع ثقافة الجزائر لا يتفقون على حقيقة واحدة فإذا كان البعض يرى أن المجتمع الجزائري كانت له ثقافة متميزة قبل الاستعمار فإن البعض الآخر ينكر عليه هذه الميزة وينفيها معتبرا إياه أنه عبارة عن تجمعات قبلية، أو عشائرية ليس لها ما يربطها ويميزها كمجتمع قائم بذاته من الناحية الثقافية بالخصوص، والسؤال المطروح الذي يمكننا أن ننطلق منه لتشخيص هذه المسألة يكون ضروريا لأنه بدون معرفة طبيعية هذه الثقافة آنذاك، يجعل نقطة انطلاقنا في تحليل إشكالية النظام التربوي تكون غامضة بالنسبة لنا ما دام هذا الأخير مجرد انعكاس لنمط ثقافي واجتماعي يتمظهر من خلاله كسياق تاريخي وحضاري متميز، وعليه السؤال هو: ما طبيعة الثقافة التي كانت سائدة في الجزائر قبل الاستعمار (1830)؟ وبماذا كان يتميز المجتمع الجزائري، هل كانت له معالم ثقافية متميزة أم كان مجرد خليط من الثقافات المختلفة الغير محددة لتمييزه عن أي نمط ثقافي آخر وإذا كان كذلك فهل فكرة إدخال التمدن " والتحضّر " في الجزائر من طرف فرنسا لها ما يبررها في التاريخ على المستويين الاجتماعي والثقافي؟.

عن الإجابة على هذه التساؤلات كلها لا شك انه سيثير أكثر من إجابة حولها وما الاختلاف الذي وقع بين الباحثين والمحللين كما أشرت في البداية، ما هو إلا إنعكاس لخلفيات إيديولوجية كانت قائمة في انقسام التوجهات النظرية بين تيارين أساسيين وبارزين في التاريخ الثقافي للجزائر على وجه الخصوص وهما:

التيار الفرنكوفوني الفرنسي والتيار العروبي / المغرب.

- إذا اردنا أن نتعرف أكثر على هذه المسألة. هذه بعض المواقف لمفكرين ومحللين ومهتمين بالمسألة كما يلي "فها مصطفى الأشرف حين يتناول الموضوع فيقول "إن الحالة الثقافية في العالم العربي ما قبل الاستعمار كانت تتميز بانحطاط مجتذب وطويل ابتداء من القرن الرابع عشرة، وبالضبط مع مجيء الزمن الحديث في أوروبا الذي أعطى لها خصوصيات أي بمعنى تقليدها المعوزة والغبورة "وهذه الثقافة التي تميزت بالخصائص التالية كما يشير إليها المؤلف .

- 1- غياب الإبداع الذي تعود أسبابه إلى ضياع السيادة الوطنية والاضطرابات الاقتصادية، والمحافظة والدفاع عن التراث المتدهور.
- 2- ليس من الغريب ان تتصل هذه الخصوصية بالنظرة العاطفية التي ادت إلى مخالطات تاريخية دائمة.
- 3- إن هذه المخالطات التاريخية هي عبارة عن جمود وتأخر بالمقارنة مع التقاليد العلمية الكبرى والدينية للقرون الوسطى التي ليس لها أي نقاط تأشيرية ودلالية تميزها .
- 4- في المجموع عن هذه الانحطاط الثقافي في العالم الغربي الذي يتصادف مع اضطرابات اقتصادية هامة والتي استفادت منها أوروبا بفضل تقدم الملاحة واكتشاف الطرق البحرية الجديدة<sup>1</sup>.

يتضح من خلال هذا الطرح أن الأشرف ينطلق في تصور للثقافة من قناعات محددة وهي تتماشى مع فكرة السياسي والإيديولوجي، إذا فهو يؤمن بثقافة جزائرية خاصة وإنها أمة لا تجد بالضرورة مكانا في أمة أخرى وهذا ينطبق عليه وعلى غيره من الفرنكفونيين الإقليميين . وبذلك يكون الأشرف ينكر على الجزائر انتمائها إلى الثقافة العربية، وإلى القومية العربية - حيث يميز بين مفهوم القومية والوطنية - وهذا أمر آخر لسنا بصدد هنا وليس هذا فيما يخص طبيعة الثقافة في الجزائر وإنما أيضا بلغتها العربية، سنعود إلى هذه المسألة بنوع من التفصيل في الفصول القادمة.

<sup>1</sup> Jean Dejeux : Culture Algérienne dans les textes ,Office des Publications Universitaires d'édition 01 1982, p: 17

## 1- المدرسة الجزائرية وصراع الهويات أثناء المرحلة الاستعمارية

كانت التربية قبل الاحتلال الفرنسي شديدة الانتشار في الجزائر إذ كانت تمتد على طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من الكتاتيب والمدارس . لكن السلطات الاستعمارية الوحشية استغلت ببشاعة الدور الخطير الذي تنهض به المدرسة في استخلاف الأجيال ، فأقامت في البلاد منظومة تربوية بديلة مارست من خلالها ضغطا شديدا على عقيدة الشعب وحضارته وأصالته وذلك بفتح مدارس للأهالي تلخص مهمتها في تكوين المساعدين الذين يحتاج إليهم الاستعمار لخدمة أغراضه ، بينما كانت مدارس الأوروبيين نسخة مطابقة للنموذج الأصلي بجميع مكوناتها العصرية . إلا أن هذه السياسة اصطدمت بمقاومة شعبية باسلة وشاملة استطاعت أن تحافظ على شكل من أشكال التربية والثقافة الوطنية بواسطة الكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة التي كان ينفق عليها الشعب ، والتي كان لها الفضل في تكوين أجيال واعية بانتمائها الثقافي والروحي والحضاري .

## دور الزوايا والكتاتيب في تأسيس الهوية الوطنية :

لا شك ان الحديث عن المسألة التربوية والتعليمية في الجزائر يجزنا دائما الى التعرض للبحث عن مسألة اوسع واعقب منها ، وهي المسألة الثقافية والحضارية وبالخصوص حين نعلم ان الاستعمار الفرنسي كان شغله الشاغل هو محاولة ايجاد الوسائل والطرق الكفيلة لممارسة والتشويه الثقافي والحضاري للجزائر ، ومن هنا يكون من الضروري ان نتعرض بالتحليل لدور الزوايا والكتاتيب في الجزائر أثناء المرحلة الاستعمارية . ونحن هنا لا نريد ان ندخل في تلك التفاصيل لتاريخ نشأة الزوايا والكتاتيب في الجزائر ، ومعرفة اسبابها العميقة بل فقط اننا سنشير الى ذلك الدور الذي كانت تقوم به في مواجهتها للاستعمار الفرنسي .

وان كانت هذه الزوايا محل خلاف نظري بين الباحثين والمؤرخين والمهتمين بالمسألة الثقافية في الجزائر ، فاذا كان البعض لا يرى فيها غير ذلك الجانب السلبي لدورها ن ومهامها واسلوبها ، وممارستها وموقفها مع الاستعمار، فان البعض الاخر هو على النقيض من ذلك فهو لا يرى فيها الا الجانب الايجابي لدورها واهدافها وموقفها ، ومن ثم يكون من واجبنا ان نبدا بتحديد ماهيتها كمؤسسة تعليمية ومدرسة ثم نبين الدور والهدف الذي كانت تسعى اليه هذه الزوايا فضلا عن الكتاتيب القرآنية ، وهذا ليس فقط من خلال نشاطها كفضاء ثقافي وتربوي وتعليمي ارتبط بتاريخ الثقافي للجزائر، بل من خلال المرجعية الثقافية التي كانت تؤطرها وذلك الخطاب الذي كانت تحمله في تلك الفترة والمرحلة التاريخية من عمل التربية والتعلم في الجزائر.

وليس هذا فحسب بل يجب ان نبين ذلك الدور من خلال تأسيسها للهوية والشخصية الوطنية ، التي كانت وما زالت تشكل المحور الأساسي والمبدأ الرئيسي الذي وقع وما زال يقع حوله الصراع والخلاف النظري ، سواء كان ذلك آنذاك في تلك المرحلة الاستعمارية او ما بعدها - أي بعد استقلال- بين الجزائريين أنفسهم . لان أي حركة ثقافية مهما كان طابعها فهي لا تنفصل في الصيرورة الديناميكية التاريخية عن واقعها السياسي والاجتماعي ، وفي نفس الوقت أي حركة سياسية فهي أيضا لا تنفصل ولا يمكن معرفة تحولاتها الا ضمن اطار ثقافي وسوسولوجي معين.

إذن في البداية ما هي الزاوية؟ وكيف ظهرت في هذا الزخم التاريخي للتحولات الثقافية للعالم العربي ؟

لقد ادى انحيار الدولة المركزية في العالم الإسلامي حين كانت الدولتين او ( الخلافتين ) العباسية ببغداد والأموية بالأندلس في اوج قهرها وتقدمها ، وحين كانت الدولة هي التي تشرف على مصالحها وتحرس على تكريس نفودها بالقوة والسيادة المركزية من الناحية الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية ، فان ذلك الفساد الذد اصابها- الدولة المركزية - أدى إلى انتشار الظلم والسلب والنهب والاهانة . هذا مما ادى برجال الدين الى التذكير في ايجاد البديل إلا وهو إنشاء الزوايا لتقوم بالدور الذي كانت تقوم به الدولة (الخلافة) .

إذن الزاوية في معناها هي : "ركن البناء أو هي صومعة الراهن المسيح ، كما كانت تطلق في السابق ، ثم أطلقت على المسجد الصغير وعلى المصلى ، وهي تختلف عن المسجد او الجامع الذي يفوقها شاناً . اما في شمال افريقيا فهو ما زال يطلق على بناء او طائفة من الابنية ذات طابع ديني وهي تشبه الدير او المدرسة وقد عرفها دوماس تعريفا جديا حيث يقول " أنها هي عبارة عن غرفة للصلاة بها محراب ، وضربا لأحد

المرابطين او ولي من الأشرار تعلوه قبة ، غرفة قصرت على تلاوة القرآن مكتبا او مدرسة لتحفيظ القرآن ، ثم غرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج او المسافرين والطلبة<sup>1</sup>

وقد ذكر إن الزاوية " هي ما يعرض في الشرق باسم الرباط أو الخانقات ، وكلمة رباط تعني أيضا في مراكز للدلالة على المنشأة التي توجد فيها النشاط العسكري خاصة إلى نشر الإسلام بحد السيف " .<sup>1</sup>

إن هذه الزوايا والكتاتيب القرآنية نشأ وترعرع هؤلاء المصلحون المجاهدون أمثال الأمير عبد القادر والشيخ الحداد ، والشيخ بوعمامة ، والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي ، والشيخ العربي تبسي ، والشيخ المبارك الميلي والشيخ فضيل الورتلاني وكلهم أبناء الزوايا والكتاتيب وأمتالهم كثيرون .

وإذا كانت هذه الزوايا تشكل الإطار والميكل الثقافي في صورته التقليدية للثقافة الجزائرية ، فإنها لعبت دورا أساسيا في الحفاظ على نمط التعليم في الجزائر قبل احتلال . "حيث كان التعليم الذي كان سائدا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 1830 هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليلًا من الدراسات العلمية ، وكان التعليم منتشرًا انتشارًا واسعًا في هذا العهد. " <sup>2</sup>

- ويقر السيد ( أوجين كومبس ) ويعترف في تقريره ، لمجلس الشيوخ الفرنسي بازدهارها وانتشار حركة التعليم في الجزائر قبل الاحتلال يقول :  
" مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر كان خلال عام 1830 أكثر انتشارًا وأحسن حالًا مما هو عليه الآن . الأمر الذي يعرض السلطات الفرنسية ، فقد كان هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي . كما يقول يتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة الأكفاء ، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم والمعرفة هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعني بتلقين اللغة العربية لطلابها "

وانطلاقًا من تصريحات المبحوثين نلمس أن أغلبهم يفضلون عملية الإصلاح نظرا أن هناك إعادة النظر في عملية التلقين ولربط البرامج مع الواقع المعاش للتلميذ ، وهذا الرأي يعبر عنه أحد المبحوثين بقوله : " أن التعليم قبل تطبيق الإصلاح يعتمد على تلقين المعلومات ، وكان التلميذ من خلال دراسته لا يستطيع ربط المكتسبات بالواقع المعاش فكان للمعلم خبرة في كل المجالات وهذا ما نراه اليوم ، فالنوع قبل تطبيق الإصلاح كان تحصيل حاصل ولم تكن المواضيع المعالجة تمس شخصية الفرد إلا القليل في بعض الأحيان ، لكن كانت هناك جدية في العمل والدراسة " . (المقابلة رقم 01)

وهذه الشهادات التي يقرها الفرنسيون ويعترفون بحقيقتها لدليل كاف على المستوى التعليمي الذي كان سائدا في أوساط الطلاب الجزائريين والمجتمع عامة ، ويعكس من جهة أخرى مدى الاهتمام الذي كان يوليه الشعب الجزائري للعلوم والمعرفة في تلك الفترة وهذا كله بفضل تلك الزوايا والكتاتيب القرآنية التي أنشأت لغرض حفظ الكيان الوطني والثقافة العربية الإسلامية . وفي هذا السياق يقول حلوش عبد القادر "لقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية القرآنية وكانت منتشرة في جميع القطر ولا تخلو منطقة من وجودها . وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر في العهد العثماني يشيدون بكثرة المدارس وانتشار التعليم وانخفاض نسبة الأمية لدى الشعب .

ويعترف الفرنسيون أنفسهم وخاصة العسكريون منهم بأن نسبة الجزائريين الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة في السنوات الأولى من الاحتلال تفوق نسبة الذين يحسنون القراءة والكتابة في جنود الجيش الفرنسي .

<sup>1</sup> - نسيب محمد : زواي العلم والقران بالجزائر ، دار الفكر ( سوريا والجزائر ) ، ص 27

<sup>1</sup> - نسيب محمد ، فس المرجع السابق ص 28

<sup>2</sup> - حلوش عبد القادر : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، دار الأمة ط1 ، ص 27 ، ص 28 عام 1999

وكانت نسبة الأمية في الجيش الغازي تبلغ 45 % ، حيث أن معظم جنوده كانوا من سكان الريف الفرنسي الذين تنتشر الأمية بينهم . أما عدد الجزائريين القادرين على القراءة والكتابة فيفوق نسبة 55 % . وكان الكتاب ( جمع كتاب ) هو الأساس للتعليم الابتدائي ن ويطلق عليه ولا سيما في المدن إسم المسجد أو الجامع . والكتاب مخصص عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال ، وكانت هذه الكتابات منتشرة في جميع الأحياء وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه ، أما في القرى والبوادي كانت المدرسة ( الكتاب ) تسمى بالشرعية ويسمى المدرس بالمشارط أو الدار ، وكان معظم مؤسسات التعليم الابتدائي هدفها الأول والأساسي هو تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الدينية والحساب للأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 6 ، 10 سنوات ، وبالتالي فالمدرسة كانت تقوم بوظيفة إنسانية واجتماعية هامة تتمثل في نشر التعليم وهو الأمية " <sup>1</sup> .

## 2 - النظام التربوي في الجزائر

إن النظام التربوي هو أساس النظم الأخرى الموجودة في المجتمع ومحورها ، إذ أنه يتكفل ببناء أهم رأس المال في الأمة وهو الإنسان . فإذا كان النظام التربوي قائما على أسس قيمية وعلمية فاعلة ، انعكس ذلك من العناصر والمكونات والعلاقات التي تستمد مكوناتها من النظم السوسيو ثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها لبلورة غايات التربية وأدوار المدرسة ونظام سيرها ومبادئ تكوين الأفراد الوافدين إليها . ويتشكل كل نظام تربوي من مستويين أساسيين هما المستوى البنائي الواصف للنظام ، والمستوى الوظيفي الواصف لعملياته. <sup>1</sup>

- المستوى البنائي :

كليات من العناصر المتفاعلة تشكل عنصرا من عناصر النظام وتتفاعل فيما بينها لأجل أداء وظائف معينة تمكن من تحقيق الغايات البعيدة المدى والقصيرة المدى من وجود النظام ذاته.

يمكن التمييز في هذا الصدد بين بنيات مختلفة:

- بنيات سياسية تشمل وظيفة اتخاذ قرارات السياسة التعليمية.
  - بنيات إدارية تدير شؤون النظام وتسييره.
  - بنيات بيداغوجية تخطط للبرامج والطرق والوسائل أو تنفيذها أو تقويمها.
- ويمكن كذلك تحديد بنيات أخرى:

أ- بنية التكوين وهي تاريخ تكون النظام وتطوره.

ب- بنية تسيير الموارد المادية والإدارية

ت- البنية التربوية الساهرة على تنفيذ المناهج والبرامج.

ث- البنية النظرية الواصفة لمكونات النظام التربوي وعناصره.

المستوى الوظيفي : وهو مستوى الوظائف التي يشغلها النظام والتي تحدد على مجموعة من المستويات هي :

- مستوى سياسي يشمل تخطيط الغايات وتحديد الاختبارات .
  - مستوى إداري يشمل تسيير النظام وتسيير الموارد والخدمات وإصدار القرارات التنظيمية .
  - مستوى إداري يشمل عمليات التكوين والتأطير التربوي والتدريس .
- والنظام التربوي في الجزائر يسعى إلى تحقيق جملة من المطامع والغايات السامية تضمنها المواثيق الرسمية للدولة الجزائرية لا سيما ما جاء منها في أمرية 16 أبريل 1976 المتضمنة تنظيم التربية والتكوين.

<sup>1</sup> - نفس المرجع السابق ص 29 - 30

<sup>1</sup> - أ. د بوفلجة غياث : التربية والتعليم بالجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 2006

## 2-1 غاياته

قبل التطرق إلى غايات النظام التربوي في الجزائر بجدر بنا أن نشير إلى المبادئ الأساسية التي بنيت عليها السياسة التربوية في الجزائر ، ونوجزها فيما يلي :

## أ - البعد الوطني

إن الإسلام والعروبة والامازيغية هي المكونات الأساسية لهوية الأمة الجزائرية التي تركز أصالتها . ويتعين على المنظومة التربوية أن تعمل على ترسيخها والنهوض بها لضمان الوحدة الوطنية والمحافظة على الشخصية الجزائرية ، كما يتعين عليها - وهي تتطلع نحو المستقبل - أن تعمل على إحكام التلاحم العضوي بين هذه القيم الأصلية وتوقان الأمة إلى التقدم والحداثة .

## ب- البعد الديمقراطي

يتجلى هذا البعد في التوجهات الجديدة للبلاد الرامية إلى بناء نظام ديمقراطي يعمل على نشر الثقافة الديمقراطية قيما وسلوكا . ويتعين على النظام التربوي أن يتكفل في منهاجه بالنهوض بهذا البعد ، أن يكرس في الوقت ذاته مبدأ ديمقراطية التعليم .

## ج- البعد العلمي والتكنولوجي

ينبغي إعادة تأكيد الاختبار العلمي والتقني كأحد الأسس التي تقوم عليها المدرسة الجزائرية ، غير أن هذا البعد يجب أن يتجسد علميا من خلال تخصيص توقيت مناسب للمواد العلمية والتكنولوجية خاصة في أطوار التعليم الأساسي .

## د- البعد العالمي

يتميز عالم اليوم بالترباط في كل المجالات وبوفرة المعلومات والخدمات . وقد أدى النمو الشديد للمعارف العلمية على تطوير طرق العمل والتشجيع على الإبداع. ومن الطبيعي أن يقوم النظام التربوي بالتفاعل مع هذه المستجدات مما يتطلب تحديث المناهج وعصرنة الوسائل ، قصد الإسهام في التنمية المستدامة ، والاشتراك في بناء سرح التراث الإنساني بمراعاة الامتداد المغاربي والعربي الإسلامي والتعايش السلمي الايجابي وحقوق الإنسان والتعاون الدولي واحترام المتبادل بين الأمم والشعوب.<sup>1</sup>

## 2-2 بناء مجتمع متكامل متماسك معتر بأصالته وواقق في مستقبله

يقوم على :

أ- الهوية الوطنية المتمثلة في الإسلام عادة وسلوكا وحضارة والذي يجب إبراز محتواه الروحي والأخلاقي وإسهامه الحضاري والإنساني وتعزيز دوره كعامل موحد للشعب الجزائري . وفي العروبة حضارة وثقافة ولغة ، التي تجسدها اللغة العربية والتي يجب أن تكون الأدلة في كل مراحل التعليم والتكوين وعالم الشغل ووسيلة للإبداع والاتصال ، والتفاعل الاجتماعي والمهني . وفي الأمازيغية ثقافة وتراثا وجزءا لا يتجزأ من مقومات الشخصية الوطنية التي يجب العناية والنهوض بها وإثراؤها في نطاق الثقافة الوطنية.<sup>1</sup>

ب - روح الديمقراطية والتي ترمي إلى ترسيخ القيم الآتية :

- احترام حقوق الإنسان وحقوق الطفل .
- حرية التفكير والتعبير واحترام الرأي الآخر.
- العدالة الاجتماعية .
- حسن التعايش والتكافل الاجتماعي ونبد العنف .
- المساواة وعدم الإقصاء والميز.

<sup>1</sup> - أ.د بوفلجة غياث ، نفس المرجع السابق ص 56  
<sup>1</sup> - د محمد منير مرسى ، الاصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث ، طبعة مزيدة ومنقحة 1999

ج- روح العصرنة والعلمية التي تمكن المجتمع من مواكبته التطورات العصرية وذلك ب :

- التحكم في العلوم الجديدة والتكنولوجيات المستحدثة .
- التحلي بالقيم الإنسانية النبيلة .
- الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية .

إن هذه الإصلاحات التي لم تكن منبثقة من اختيارات وحاجيات وتوجهات وطنية ذاتية وخاصة ، بقدر ما كانت نابعة في إطار أوضاع التبعية من جهات ومصادر أجنبية غريبة ، لا تمت في أهدافها ورهاناتها بأي صلة إلى هذه المجتمعات بد من يمكن .

### 3- واقع المدرسة الجزائرية في الوقت الراهن:

مقدمة :

إنّ من اعقد المشكلات التي ظلت تواجه الإنسان عامة، سواء أكان مريبا أو أستاذا أو مفكرا أو فيلسوفا أو مختصا في البيداغوجيا، هي كيفية تحديد نمط لبناء "إنسان". ولما كانت إشكالية "بناء الإنسان" تشكل أهم محور لبناء المجتمع. فإنّها ظلّت تشكل محور جدل واختلاف بين المهتمين والمفكرين والفلاسفة والمريّين وحتى السياسيين في مشاعرهم ومخططاتهم الاقتصادية، والتنموية، لأنّه لا تنمية بدون إنسان ولا إنسان بدون تنمية. ما دام الإنسان هو العنصر الأساسي والرئيسي في مشروع تنموي، فقبل البحث عن الموارد المادية ورؤوس الأموال المختلفة، فإن الرأس المال الأوّل الذي يجب أن نفكر فيه هو الإنسان نفسه، لأنّه لو لم يتهيأ ويستعد ويتمثل هذه القيم المادية كلها في ضرورتها الروحية لما أمكن له أن يتحقق أي مشروع اجتماعي معيّن.

ولذلك ظلّت هذه الفكرة تراود كل الذين أرادوا بناء "حضارة إنسانية" فمنذ كونفوشيوس - إلى يومنا هذا والعالم يبحث عن نمط "بناء إنسان" لكن هذا النمط الذي كثر الجدل حوله والبحث عنه لا يمكن أن يكون بريئا ومحايدا كما هو الشأن بالنسبة لأي شيء طبيعي، فذلك أمره خاضع للنموذج الاجتماعي والسياسي والثقافي والتربوي أيضا.

يقول صالح الحاجي: " إنّ التربية تشكل رهانا محوره التجربة المعيشة التي تحصل لجمعينا، سواء كنّا مدرسين أو أولياء متعلمين، إلا أنّ التجربة ليست محايدة أيّدا، ذم أنّها تحكم اهتمامات واختيارات سياسية واجتماعية وثقافية"<sup>1</sup> وفي هذه الحدود يمكن أن نؤكد مع العالم الفيزيائي ألبيير اينشتاين حين قال: "إنّه من السهل علينا أن نفجر ذرة في عالم الطبيعة لكنه من الصعب علينا أن نغيّر ذهنية إنسان".

لقد ظلّت المدرسة الجزائرية حبيسة الأيديولوجية ، والذي كان يتركز على أيديولوجية ذات طابع شعوي وجماهيري، يكرّس الفكر الواحدوي والواحد في ظلّ الأحادية والواحدية سواء في التوجه السياسي أو العقائدي أو الحزبي. فإذا كان في هذه الفترة يقع التناهي بين الحزب والدولة حيث أصبحت الدولة هي الحزب والحزب هو الدولة، فإن كان في هذه الفترة يقع التناهي بين الحزب والدولة حيث أصبحت الدولة هي الحزب والحزب هو الدولة، فإنّ دور المؤسسة السياسية لم يكن له أيّ فاعلية من الناحية الواقعية إلا من خلال تلك الخطب السياسية المروجة لضخامة الأنا عندها وعند زعمائها السياسيين الذين يتمثلون الذين الدولة والسلطة في أنفسهم، فإذا كانت السلطة قد تبينّت برنامجا سياسيا موجهها في ظل تطبيق الاشتراكية فإنّها ألحقت بذلك خلل في نظامها التعليمية الذي كان مجرد تابع للقطاعات التنموية الأخرى في وبالخصوص القطاع الاقتصادية المتتالية وأهملت التكفل بالإنسان كعنصر رئيسي في كامل هذا المشروع.

<sup>1</sup> - صالح الحاجي: من إعلام الفكر البيداغوجي دار سراس للنشر ط1 ، سنة 2000 ص 05.

## 3-1 - واقع المدرسة الجزائرية بعد الاستقلال

وحدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال أمام وضع اقتصادي واجتماعي وثقافي منهار تجلت معالمه في تفشي الأمية والجهل وانتشار الأمراض وقلة البنى التحتية ، ونقص في الموارد المالية والبشرية التي تكون في مستوى تحدي الأوضاع . لكن الدولة الجزائرية الفتية إيماناً منها بدور التربية التي تعد أساس كل تنمية بادرت إلى تجنيد وتعبئة كل الإمكانيات المتاحة آنذاك ، واستعانت بالدول الشقيقة والصديقة من أجل بناء منظومة تربوية جزائرية ، وقامت في هذا السياق بمساع حديثة لإدخال إصلاحات عبر المراحل التالية .

## 3-2 المرحلة الأولى ( 1962 - 1970 )

بقي النظام في هذه المرحلة شديدة الصلة من حيث التنظيم والتسيير بذلك الذي كان سائداً قبل الاستقلال ، غلا أنه شهد تحويرات نوعية تطبيقاً لاختيارات التعريب والديمقراطية والتوجه العلمي والتقني وذلك طبقاً للمواثيق الأساسية للأمة<sup>1</sup> وفي هذا الإطار نصبت سنة 1962 لجنة لإصلاح التعليم عهد إليها وضع خطة تعليمية واضحة ، ونشرت اللجنة تقريرها في نهاية سنة 1964. لكن النظام التربوي لم يعرف تغيراً كبيراً ، ولم تشهد السنوات الأولى من استقلال سوى جملة من العمليات الإجرائية نذكر منها :

- التوظيف المباشر للممرنين والمساعدين.
  - تأليف الكتب المدرسية وتوفير الوثائق التربوية .
  - اللجوء إلى عقود التعاون مع البلدان الشقيقة والصديقة .
- أما تنظيم التعليم فقد انقسمت هيكلته في هذه المرحلة إلى ثلاثة مستويات يستقل كل منها عن الآخر وهي :
- أ- التعليم الابتدائي : ويشمل ست سنوات ويتوج بامتحان السنة السادسة .
- ب- التعليم المتوسط : ويشمل ثلاثة أتماط هي :
- التعليم العام ويدوم أربع سنوات ويتوج بشهادة الأهلية التي عوضت فيما بعد بشهادة التعليم العام (BEG).
  - التعليم التقني ، يدوم 3 سنوات ، ويؤدي في إكماليات التعليم التقني ، ويتوج بشهادة الكفاءة المهنية .
  - التعليم الفلاحي يدوم 3 سنوات ويؤدي في إكماليات التعليم الفلاحي ، يتوج بشهادة الكفاءة الفلاحية .
- ج - التعليم الثانوي : ويشمل ثلاثة أتماط هي :
- التعليم الثانوي العام يدوم 3 سنوات ويحضر لمختلف شعب البكالوريا ( الرياضيات - علوم تجريبية - فلسفة ) أما ثانويات التعليم التقني فتحضرهم لاختبار بكالوريا شعب ( تقني رياضيات - تقني اقتصادي ) .
  - التعليم الصناعي والتجاري ، وهو يحضر التلاميذ لاجتياز شهادة الأهلية في الدراسات الصناعية والتجارية تدوم 5 سنوات ، وقد تم تعويض هذا النظام قبل نهاية المرحلة بتنصيب الشعب التقنية الصناعية ، والتقنية المحاسبية التي تتوجها بكالوريا تقني .
  - التعليم التقني ، يحضر لاجتياز شهادة التحكم خلال 3 سنوات من التخصص بعد التحصل على شهادة الكفاءة المهنية .

## 3-3 المرحلة الثانية ( 1970 - 1980 )

عرفت الفترة الممتدة من 1970 إلى 1980 إعداد مشاريع إصلاحية كمشروع 1973 المتزامن ونهاية المخطط الرباعي الأول وبداية المخطط الرباعي الثاني ومشروع وثيقة إصلاح التعليم سنة 1974 التي صدت بعد تعديلها في شكل أمر 16 أبريل 1976 ، وهو الأمر المتعلق بتنظيم التربية والتكوين الذي ينص على إنشاء المدرسة الأساسية وتوحيد التعليم الأساسي و إجباريته ، وتنظيم التعليم الثانوي وظهور فكرة التعليم الثانوي المتخصص ، وتنظيم التربية التحضيرية .

وقد تميزت هذه المرحلة في المجال التربوي بالخصائص التالية :

<sup>1</sup>- أ.د بوفلجة غياث ، نفس المرجع السابق ص 37 .

- تحديد المضامين والطرق التعليمية بالتعميم التدريجي للتعليم المتعدد الشعب بهدف تحضير شروط التنمية العلمية للبلاد .
  - استخدام ميكانيزمات فعالة لتوجيه التلاميذ خلال مسارهم الدراسي .
  - جعل وسائل التعليم والمضامين التعليمية منسجمة مع انشغالات المحيط.
- وبالتوازي مع العمليات التحضيرية للإصلاح فقد شهد القطاع طيلة هذه المرحلة عددا من القرارات التي مست هيكلية المنظومة في كل أطوار التعليم ، كما مست القطاعات المرتبطة بالشهادات والتكوين ، تمثل ذلك فيما يلي :

#### أ - في مرحلة التعليم الابتدائي

لم تدخل عليه تغييرات بالمقارنة لما علاف عنه في المرحلة السابقة باستثناء تغيير تسمية "امتحان السنة السادسة " الذي أصبح يطلق عليه " امتحان الدخول الى السنة الأولى" .

#### ب - في مرحلة التعليم المتوسط

وقد جمع في إكماليات التعليم المتوسط ( التي تم إنشاؤها ) كل أنواع التعليم التي كانت تؤدي في الطور الول من التعليم الثانوي وفي إكماليات التعليم العام والتعليم التقني والتعليم الفلاحي ، تلك المؤسسات التي شرع إزالتها ابتداء من سنة 1970 ، وتنتهي الدراسة باجتياز شهادة الأهلية للتعليم المتوسط لاجتياز البرامج الجديدة خلال فترة محددة تدوم 3 سنوات والتي تمثل الطور الثالث من التعليم الأساسي ، كما أنشئ فرع جديد في شهادة التعليم المتوسط سمي " شهادة التعليم الأساسي " التي تتوج الدراسة في المؤسسات التحريبية.

#### ج - التعليم الثانوي

يدوم 3 سنوات وينتهي باجتياز مختلف شعب البكالوريا التي تؤدي إلى الجامعة ، وتحضر ثانويات التعليم العام لاجتياز الامتحان المذكور في الرياضيات والعلوم والآداب .

إن اهم التغييرات التي وقعت في هذه المرحلة تتعلق بالتعليم التقني حيث أنشئت متاقن الطور الأول 71/70 وهي تستقبل تلاميذ للسنة الخامسة ( السنة الثانية متوسط ) . بهدف منحهم تكويناً يدوم سنتين ليصبحوا عمالاً مؤهلين مع إمكانية الانتقال إلى الطور الثاني لتلقي تكوين يؤهلهم مدة سنتين من الدخول المدرسي 74/73 وحولت المتاقن على ثانويات تقنية<sup>1</sup>.

#### 3- 4 المرحلة الثالثة ( 1980 - 1990 )

أ- ما يطبع هذه الفترة اساسا هو إقامة المدرسة الأساسية ابتداء من الدخول المدرسي 81/80 . وقد تم تعميمها بشكل تدريجي سنة بعد سنة حتى يتسنى لمختلف اللجان تحضير البرامج والوسائل التعليمية لكل طور ، وتدوم فترة التمدرس الإلزامي فيها 9 سنوات وتشمل هيكلتها ثلاثة أطوار مدة الطورين الأولين 6 سنوات ( الإبتدائي سابقا ) ومدة الطور الثالث 3 سنوات ( المتوسط سابقا ) .

إن المدرسة الأساسية تم تصميمها لتكون وحدة تنظيمية شاملة ، وتمت محاولات على الصعيد التنظيمي ترمي إلى تحقيق هذه الوحدة في إطار (المأمن).

#### ب- التعليم الثانوي

- شهد التعميم الثانوي خلال هذه الفترة تحولات عميقة رغم أن التكفل به اسند إلى جهاز مستقل وقد شملت هذه التحولات ما يلي :
- التعليم الثانوي العام تميز بإدراج التربية التكنولوجية والتعليم الاختياري في اللغات والإعلام الآلي ، والتربية البدنية والفنية ، ثم التخلي عنها إثر إعادة هيكلية التعليم الثانوي في الفترة الموالية ، وكذا فتح شعبة " علوم إسلامية " .
- التعليم الثانوي التقني : تميز بما يلي :
- تطابق التكوين في المتاقن مع التكوين الممنوح في الثانويات التقنية .

<sup>1</sup>- أ.د بوفلجة غياث ، نفس المرجع السابق ص 55

- فتح بعض شعب التعليم العالي أمام الحائزين على بكالوريا تقني .
- إقامة التعليم الثانوي التقني القصير المدى الذي يتوج بشهادة الكفاءة التقنية والذي ظل ساري المفعول من سنة 1980 إلى 1984 .
- فتح شعب جديدة.
- تعميم تدريس مادة التاريخ لتشمل كل الشعب .

### 3-5 المرحلة الرابعة ( 1990-2003 )

لقد تم في هذه المرحلة تحليل وتقييم البرامج المطبقة منذ العام الدراسي 1980-1981 وتطلب ذلك وضع أدوات للتقويم ، كما اضطر ذلك أصحاب القرار إلى إقرار ضرورة التخفيف من كثافة البرامج وتكييفها حسب الوضعية الجديدة الناتجة عن التغيرات السياسية والاقتصادية التي عرفتها الجزائر .

لقد تم إذن تخفيف البرامج عام 1993-1994 من خلال إعادة كتابة برامج التعليم الأساسي بدون أن تتبع هذه العملية بإعداد كتب مدرسية جديدة .

أما المرحلة الحالية إبتداء من 2003 إلى 2006 فتشهد إصلاحا شاملا للمنظومة التربوية ، يتمثل في تغيير البرامج والكتب المدرسية لجميع مراحل التعليم ، أي المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية .  
ما يمكن ملاحظته حول هذه الإصلاحات هو :

- 1- عدم انتظام المدة الزمنية الفاصلة بين الإصلاح والآخر.
- 2- إن الكثير من الإصلاحات يغلب عليها طابع "الترقيع" بحكم جزئيتها ، فتارة تم تخفيف البرامج وتم أحيانا إلغاء عدد من الدروس من كتب بعض المواد وما إلى ذلك من التدخلات الجزئية مما قد يشير إلى ضبابية الرؤية والتعامل المبني على المحاولة والخطأ وتغييب الكفاءات المتخصصة أو على الأقل تهميشها.<sup>1</sup>

### 4- تطور التعليم العالي

إن المتتبع للمراحل التي مرت بها الجامعة الجزائرية في 40 سنة الماضية يلاحظ انه يمكن تلخيصها على النحو الآتي :

#### 4-1 - مرحلة 1962 - 1984

ميزها إصلاح التعليم العالي سنة 1971 والذي من مرامييه الكبرى :

- إدماج الجامعة الجزائرية في سياق حركة التنمية الشاملة .
- جزأة المكونين والمؤطرين .
- ديمقراطية التعليم وتعريبه .
- تأكيد التوجه العلمي والتكنولوجي .
- تكوين الإطار من حيث الكم والنوعية الضرورية لسد حاجات البلاد.

#### 4-2 - مرحلة 1985 - 1989

وميزها وضع الخريطة الجامعية التي تنظم القطاع بغية التحكم في التوافد الطلابي وترشيد توزيعه في إطار توحيد المنظومة الجامعية ، و إنشاء شبكة للمراكز الجامعية في مختلف ارجاء الوطن وكذا إنشاء جامعة التكوين المتواصل.

<sup>1</sup> . كريمو مرزوقي حبيب تيلولين ، الأدوار الإجتماعية في الكتاب المدرسي ، ضمن سلسلة دراسات في بناء وتقويم المناهج ، دار الغرب للنشر والتوزيع ص 34-35

## 4-3 - مرحلة 1990 - 2003

لم تستطع الجامعة في هذه المرحلة الاستجابة للمطالب الاجتماعية والاقتصادية المطروحة نتيجة تأثير التخطيط الاستعجالي للتكفل بالدفعات الطلابية بحيث عانت فيها الجامعة ضغوطا أدت إلى عدم استقرارها في مجالات التنظيم والتسيير.

## 4.4 - التكوين المهني

لم يكن هناك غداة الاستقلال سوى سبعة عشر مركزا للتكوين المهني اقتصر التكوين فيها على التخصصات المتعلقة بالأشغال العمومية والبنائات الحديدية .

وفي بداية السبعينات تبلورت سياسة وطنية للتكوين المهني تطبعها اهتمامات اقتصادية واجتماعية تتمثل في تكوين يد عاملة مؤهلة سريعة الإدماج في الجهاز الاقتصادي معتمدة في ذلك على عدد كبير من المؤطرين الأجانب.

في بداية الثمانينات شهد القطاع ديناميكية نشطة تميزت ب :

- إنشاء إدارة مركزية مستقلة .
- مضاعفة عدد المؤسسات التكوينية المهني بمختلف أنواعها وتنوع تخصصاتها.
- جzارة المكونين عن طريق تكوين المكونين وإدماجهم.
- إدخال أنماط ومستويات جديدة للتكوين.
- صدور قانون التمهين.

وقد شهد قطاع التكوين المهني في مطلع التسعينات تمديد التكوين على المستويين الرابع والخامس للتكفل بالتلاميذ المتسربين من قطاع التربية الوطنية بعد إمتحان البكالوريا وإدخال أنماط جديدة للتكوين أكثر تكيفا ، وإنشاء مدارس خاصة للتكوين طبقا للقانون وتحت مراقبة الدولة.

2. أهدافه

أما أهداف النظام التربوي الجزائري فتتمثل بحسب الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالتربية فيما يلي :

- تكوين أطفال متميزين بسعة الأفق والخيال وسلامة البدن يصبون إلى قيم الحق والخير والجمال وذلك من خلال إيجاد توازن متناسق بين جوانب التربي الفكرية والأخلاقية والبدنية .
- إكساب الأطفال حرية التفكير التي تسمح لهم بإصدار الأحكام وتبني آراء مستقلة وتعوددهم على تحمل مسؤولية تصرفاتهم .
- تمكين الشباب من تكوين نظرة عن العالم دون فقدان هويته الثقافية وتعودده احترام خصوصيات الثقافات الأخرى.
- ضمان حد أدنى من المهارات والمعارف والكفاءات للجميع بتعميم التعليم الأساسي .
- تمكين المتعلمين من التكيف مع مهام متعددة ومن القدرة على التحسين المتواصل لمستوياتهم في ضوء تطور أشكال الإنتاج وظروف العمل .
- إيلاء أهمية كبيرة للتكوين العام باعتباره الأرضية الضرورية لكل تكيف مستقبلي مع التغيير.

## 4-5 المدرسة الإصلاحية ( البادسية ) وإيديولوجية بناء الهوية الوطنية :

قبل التطرق إلى الحديث عن واقع المدرسة الإصلاحية عند بن باديس في مجال التربية والتعليم ، يجب أن نوه بالوضع الذي كان عليه التعليم العربي ،، الحر ،، قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدور الذي لعبته بعدها في إعطاء وجه جديد للتعليم العربي ،، وليس هذا فحسب ، بل هناك مسألة أخرى لها علاقة بالمدرسة الإصلاحية لذا بن باديس إلى " الهوية الوطنية " التي مازالت تثير من جدول عند المهتمين والباحثين والمفكرين ، فنحن قد سبق أن تعرضنا في في بداية الفصل إلى مسألة صراع الهويات في الجزائر أثناء المرحلة الاستعمارية دون إن ندخل في عرض أو التعرض لذلك السجل الذي عرفته الجزائر والمجتمع الجزائري من خلال نخبة مثقفة ، لان الأمر لم

يكن يطفوا على سطح النقاش في تلك المرحلة وإنما بقي فقط على مستوى المواجهة بين الذات المستعمرة في شخص الشعب الجزائري والآخر المستعمر الممثل في شخص الاستعمار الكولونيالي الفرنسي ، لا على الفعل والممارسة أو على مستوى الخطاب السياسي والثقافي ، لكن هذا لم يكن يمنع انه يخفي بداخله بناقضات وصراعات ثقافية كانت ومازالت تستخدم في تناقضها وصراعها، وبدأ يبرز ذلك في بداية تأسيس الحركة الوطنية في الجزائر ، الأمر الذي جعل الأحزاب الوطنية في تلك المرحلة من تأسيس الحركة إن تدخل هي الأخرى في صراع سياسي وثقافي . وعلى هذا الأساس يكون من الضروري إن نحدد مفهوم " الهوية الوطنية " على المستوى المفاهيمي ، ثم نحاول إن نشخص ذلك على مستوى المجتمع الجزائري وكيفية تشكله تاريخيا ، دون إن ننسى إن هذا المفهوم في حد ذاته شكل بالنسبة للباحثين ومازال يشكل محور صراع وخلاف على المستوى التاريخي أيضا ولما كان تاريخ الحركة الوطنية يتميز بالتعدد والإنقساميين الفئات والنخب المثقفة والزعماء الوطنية ، فان ذلك انعكس بالضرورة على وجهات نظرهم وتصوراتهم ، لكن هذا الانقسام بين هذه الفئات تميز ب بروز اتجاهين بارزين متصارعين ومتنازعين وهما : تيار النزعة العربية الإسلامية الذي غالبا ما ينسبونه إلى اتصاله بالمشرق العربي وبالخصوص بالقومية العربية أو البعث العربي ، أو التيار الآخر فهو تيار النزعة البربرية اللاتينية المتصلة بالغرب الأوربي وبالخصوص فرنسا أو البعث الفرنسي (الفرنكوفوني ) إن لم يكن في أقصى حالته الفرنكوفيلي العنصري <sup>1</sup>.

ومن ثم كانت هذه النزاعات متصلة في جوهرها بالخلاف اللغوي أي ( بين المعربين والمفرنسين ) والذي يتصل مباشرة وبالضرورة وجوهريا بمشكلة الهوية والشخصية الوطنية ، أي بالمرجعية النظرية والإيديولوجية السياسية في الأخير إما ( مرجعية عربية إسلامية أو مرجعية أمازيغية فرانكفونية ، أو مرجعية متوسطة ).

لنعود إذا إلى حالة التعليم العربي ، ، الحر ، ، قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931.

كان التعليم العربي " الحر " يدور غالبا حول الدراسات الدينية واللغوية ولا يكاد يخلط معها شيئا آخر من علوم الحياة أو التاريخ أو الجغرافيا ولذلك كان بعيدا عن اهتمامات العصر واهتمامات المتعلمين وقد أثر هذا على خريجه وعلى نظرهم للأمر وغيرهم من المتعلمين تعليميا حديثا لأنهم كانوا جامدين في أفكارهم محدودي الأفق في معارفهم ينقصهم التكوين وسعة الأفق ، وكانت العلوم في الجزائر منقسمة هي أيضا إلى قسمين ( علوم تؤخذ باللسان العربي وعلوم تؤخذ باللسان الأجنبي ) <sup>1</sup> وعليه انقسمت الفئات المتعلمة إلى قسمين هي بذورها ومن ثم بقي الصراع على أشده بينهما فهؤلاء يمثلون فئة المثقفين التقليديين والفئة الأخرى تمثل المثقفين المعاصرين .

" وهكذا كانت الجزائر في الحركة العلمية إلى إن مرت عليها مائة عام وأنستت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " هذه هي حالة التعليم العربي " الحر " في الكتاتيب والمدارس فإذا نظرنا إلى حالته في الزوايا وهي أيضا من معاهد التعليم العربي " الحر " فإننا نجد إن التعليم فيها " لم يزل على الأسلوب القديم من الابتدائي بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون ، والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف على طريقة لا تؤهل الطالب للبحث والاستنتاج والتصرف فيما يعلم بل تجده ينهي كل شيء بالتسليم اعني ملا ينبغي التسليم فيه لمصادمته للعلم الصحيح " <sup>2</sup>.

أما بعد تكوين جمعية العلماء في عام 1931 فقد قفز التعليم العربي " الحر " قفزة كبيرة إلى الإمام بفضل الجهود التي بذلتها في هذا الميدان و " ولقد كان أهم إصلاح أدخلته الجمعية على هذا النوع من التعليم هو الأعراض من اللفظيات ، والبعد عن الخلافات ، وعن كل ما يشوش ذهن الطالب ويبعد عن تصور المعنى المقصود للمتعلمين. <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - محمد بغداد باي ، التربية والحضارة ، بحث في مفهوم التربية في تصور مالك بن نبي دار الأفكار الجزائر الطبعة الاولى 2006

<sup>2</sup> - محمد الخطيب العلوي " التربية بين الاصلية والتعريب ص : 261 ، 262

<sup>2</sup> - نفس المرجع ص : 263 ، 264 .

<sup>1</sup> - نفس الرجع المذكور سابقا ص : 264

وإذا كانت جمعية العلماء تهدف إلى أن تخلق في نفوس وروح أساتذتها وتلاميذها روح المطالعة والنقد والتفكير بصورة بيداغوجية جديدة يعتمد على ذلك الإصلاح الذي ظل عبد الحميد بن باديس يعتمد عليه كإستراتيجية تعليمية جديدة في تكوين الأجيال على مر العصور، وتميزت به الجمعية عن غيرها من المدارس والكتاتيب والجوامع التي كانت موجودة قبل مجيء الاستعمار أو تأسيس الجمعية نفسها، وليس هذا فحسب بل كان عبد الحميد بن باديس يريد أن يدخل الإصلاح ويقترحه حتى على جامع الزيتونة الذي كان يتميز بالجمود والانغلاق نحو النقد والتفكير عند أساتذته وأثره على تلاميذه وهذا بحكم ما لا حظ به بن باديس باعتباره تلميذ تخرج من جامع الزيتونة.

وبذلك ساعدت جمعية العلماء على تطوير التعليم العربي "الحر" ووجته وجهة علمية تخدم قضية النهوض باللغة العربية والثقافة الإسلامية في الجزائر كما ساعدت على بعث النهضة العلمية والاجتماعية في البلاد.

ومن هنا كان لجمعية العلماء دور هام في تطوير التعليم العربي "الحر" والارتقاء بمستواه في الأسلوب والمناهج والكتب والإدارة وغيره" كذلك سعت الجمعية بعد تكوينها بسنوات قلائل إلى العمل على توحيد برامج هذا التعلم وعقد لذلك مؤتمرا عاما في نادي الترقى بالعاصمة عام 1937"<sup>2</sup>.

ولقد قام صراع رهيب بين الشعب الجزائري ممثلا في منظماته ورجاله الغيورين على عروبته ودينهم من ناحية وبين الإدارة الاستعمارية التي تفنتت في محاربة اللغة العربية، ووضع العراقيل المختلفة في وجه تعليمها لأبناء الجزائر من ناحية أخرى .

و لقد سبق أن ذكرنا أن التعليم الابتدائي الرسمي الفرنسي 100% ولذلك لم يبق هناك مجال لتعليم اللغة العربية لأبناء الجزائر سوى التعليم العربي الشعبي الحر الذي ينهض الشعب بتأسيسه وتمويله من تبرعاته الخاصة<sup>3</sup>.

لكن فرنسا كانت تريد عكس ما كان يريد الشعب الجزائري فإذا كان الشعب يريد تعلم لغته والمحافظة على دينه فان فرنسا كانت تحاول القضاء على هذه اللغة بتطبيق سياسة الفرنسية من خلال تلك القوانين الإجرائية ذات النزعة الاستعمارية والعنصرية في نفس الوقت. يقول الدكتور تركي رابح في هذا الإطار.

" لقد بلغت محاربة اللغة العربية والتعليم العربي الحر ذروتها بالقرار الذي أصدره السيد "شوطان" CHAUTAN" وزير داخلية فرنسا في 8 مارس 1938 باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية بدليل عدم استعمالها في التعليم الابتدائي وطردها من الإدارة الحكومية طردا كليا "<sup>1</sup> هذا هو وضع التعليم العربي "الحر" في الجزائر. الذي لعب دورا هاما فيا لمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية التي كان الاستعمار الفرنسي يحاول طمسها وتشويهها بشتى الوسائل وما موقف المقاومة الذي عرفته هذه المدارس الا دليل على رفض الشعب الجزائري مطاوعة الاستعمار الفرنسي يحاول طمسها وتشويهها بشتى الوسائل وما موقف المقاومة الذي عرفته هذه المدارس الا دليل على رفض الشعب الجزائري مطاوعة الاستعمار الفرنسي في سياسة التضييلية التي كان يحاول ان يخدم بها الشعب الجزائري في حثهم وتشجيعهم إلى الذهاب إلى مدارس لا حبا فيهم وإنما بغية تحريفهم عن واقعهم القومي .

إما عن إشكالية "الهوية الوطنية" في الجزائر، فهي كما قلت سابقا تعود إلى الماضي البعيد في تاريخ الجزائر الثقافي والسياسي أيضا ، وإذا كنا نتعرض إلى هذه المسألة هنا فلأنها تصل اتصالا مباشرا بجوهر الصراع الذي كان قائما بين تلك الحركات السياسية والمقاومات الثورية التي

<sup>2</sup>- نفس المرجع المذكور سابقا ص : 268 ، 269.

<sup>3</sup>- د . تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ( فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، ش و ن ، ت ، ط 2 1974 ص 155 .

ظهرت ضد الاستعمار الفرنسي لان هذا الأخير لم يكن يهتم بالإستلاء على الأرض ، والمسكن والأوثاق والثروات وغيرها بقدر ما كان يهتم بالاستيلاء على القلوب والعقول والأرواح من الداخل ل يتم تحويلها إلى نموذج ينتسب له بدون مقاومة وتراجع.

ومن هنا هل يجوز أن نتحدث عن مشكلة بناء الهوية الوطنية التي حاول عبد الحميد بن باديس من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إن يعيد لها مفهومها ، ودلالاتها النظرية وذلك من خلال تظهارها في المدرسة ونماذج الأنظمة التربوية في الجزائر ؟ ولماذا كان مازال مشكل الهوية الوطنية يشكل محور الحديث والنقاش والخلاف بين الباحثين والمتخصصين في تصورهم وجهات نظرهم ؟ مما أدى ذلك إلى نشأة أزمة هوية على المستوى الفردي والجماعي ؟ لا شك أن الإجابة على هذه التساؤلات ليست بالأمر السهل بين الاتجاهات الفكرية والمرجعيات النظرية والحساسية الحزينة والسياسية

إن الخلاف الذي تعرفه النخبة المثقفة على مستوى موقفها من هذه الإشكالية عود أساسا إلى تاريخ نضالها السياسي ضمن الحركة الوطنية الجزائرية ، ومدى قدرتها أم عدم قدرتها على الاتصال بالقاعدة الشعبية في المجتمع وتحديد نحو طريق الحسم في أهم مشكلة من مشاكله وهي مشكلة الهوية ليتضح له بعد ذلك المسار الذي يمكن أن يتبعه لبناء مصيره التنموي على مستوى الاستراتيجية الاقتصادية اولا على مستوى العلاقات السياسية والثقافية والاجتماعية فيما بعد.

#### خاتمة :

لعل واقع التربية في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية ، تعرضت للبحث عن مسألة الثقافة الحضارية حيث كان شغله الشاغل هو محاولة إيجاد الوسائل والطرق الكفيلة لممارسة التشويه الثقافي والحضاري للجزائر ، بحيث لعبت الزوايا دورا هاما في هذا المجال وكانت لها أهداف ومواقف ليس تشابها كفضاء ثقافي وتربوي ، بل من خلال المرجعية الثقافية التي كانت تؤطرها خاصة عمل التربية والتعليم في الجزائر ، ولعبت كذلك دورا أساسيا في الحفاظ على نمط التعليم ، وكان يسعى الى تحقيق جملة من المطابع والغايات السامية تضمنها المواثيق الرسمية للدولة الجزائرية ، وكانت لها أبعاد وغايات كلها تندرج تحت التعاون الدولي والاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب ، بالإضافة إلى الهوية الوطنية التي يجب إفرار محتواه الروحي والأخلاقي وإسهامه الحضاري والنهوض بها في نطاق الثقافة الوطنية .

إضافة إلى المدرسة الإصلاحية البادسية في مجال التربية قبل تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين ، والدور الذي لعبته في إعطاء وجه جديد للتعليم العربي ، وهي الهوية الوطنية ، فهذه المدرسة كانت تعتمد على الأسلوب القديم وذلك بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون ، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الفقه والنحو والصرف على طريقة لا تؤهل الطالب للبحث والاستنتاج .

أما إصلاح المدرسة الجزائرية غداة الاستقلال فمرت باربعة مراحل ، مروراً بالابتدائي فالأساسي ثم الثانوي فالجامعة ، وتعددت التخصصات في التعليم الثانوي وإنشاء شبكة للمراكز الجامعية في مختلف أرجاء الوطن ، وكذا إنشاء جامعة التكوين المتواصل .

#### قائمة المراجع

#### I- المراجع باللغة العربية:

1. أ حمد الجوادي، التعلم مدى الحياة، العربي، العدد 488، الكويت، يوليو 1999 .
2. محمد الطيب العلوي : بين الأصالة والتغريب ، منشورات دار دحلب الطبعة الأولى 1998
3. محمد حربي /الثورة الجزائرية . سنوات المخاض . موفوم للنشر الطبعة الأولى 1994.
4. مصطفى الأشرف :الجزائر الأمة والمجتمع (ترجمة حنفي بن عيسى) دار المكتبة
5. مصطفى محسن : الخطاب الإصلاحي التربوي (بين الأزمة وتحديات التحول الحضاري)
6. د محمد سبيلا:الإيديولوجيا نحو نظرة تكاملية المركز الثقافي العربي ط(1) 1992.
7. ماركس أنكلز : الأيديولوجيا الألمانية ، ترجمة د. فؤاد أيوب ، دار دمشق ، للطباعة والنشر ، 1976.
8. موريس أبو ناضر : أفكار جديدة لعالم جديد ، المركز الثقافي العربي ط2 سنة 1995.
9. محمد نسيب :زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر (سوريا ، الجزائر ) بدون تاريخ .

10. د. أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات , درا الأمة , الطبعة الأولى 1996.
11. مهدي عامل: مقدمات نظرية لدراسة الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني 2006 .
12. محمد المليبي ؛ ابن باديس و عروبة الجزائر ، دار الثقافة بيروت ط(2) 1973
13. محمد نسيب :زوايا العلم والقرآن بالجزائر ,دار الفكر (سوريا ,الجزائر ) بدون تاريخ .
14. مهدي عامل: مقدمات نظرية لدراسة الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني
15. د. أحمد عروة: الإسلام في مفترق الطرق ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الطبعة الأولى.
16. محمد الطيب العلوي : بين الأصالة والتعريب , منشورات دار حلب الطبعة الأولى 1998
17. تيجزي محمد، الاتجاه الايديوميتري المحكي في إنشاء الاختبارات التقويمية وتأويلها: منطقة وعلاقتة بالاتجاه السيكوميتري، كتاب الرواسي ، باتنة 1998.
18. د. محمد منير مرسي ، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث ، عالم الكتب 38 شارع عبد الخالق ثروت القاهرة 3926401 طبعة مزيدة ومنقحة سنة 1999
19. صالح الحاجي : من إعلام الفكر البيداغوجي دار سراس للنشر ط1 ,مارس 2000.
- د. تركي رايح :التعليم القومي والشخصية الوطنية ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1975